مطبوعات شرقية

# بيزنطية والعرب*

بقلم الآب جان مصربان اليسوعي

لقد لابس باستمرار تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، وذلك زهاء خمس مئة سنة من القرن السابع الى القرن الحادي عشر المسيحي ، تاريخ الخلافة العربية التي كانت عاصمتها اولاً دمشق ومن ثم بغداد . فلا بد اذاً للمؤلفات الخاصة بكلتا الدولتين من ان تعتمد ما دوّنته مظانّ الامبراطوريتين من وثائق لتكون اوفى موضوعاً واشد واقعية على الاخص .

ومما لا شك فيه ان بعض الدراسات الواسعة ذات القيمة الكبرى قد استمدت قسطاً وافراً من مصادر الامبراطوريتين ومن مختلف المظانّ المدونة باللغات الشرقية ولاسيما العربية في ترجماتها الى اللغات الاوربية . وحسبنا الاشارة الى اهم هذه الدروس التي نحن بصددها .

منها تاريخ شارل له بو ( Charles Le Beau, *L'Histoire du Bas-Empire* ) للامبراطورية الشرقية الحديثة الموضوع في القرن الثامن عشر وقد طبع ثانية من سنة ١٨٢٤ الى سنة ١٨٣٦ بعد ان اعاد النظر فيه وافاد من المصادر الشرقية المستشرقان سان مارتن ( Saint-Martin ) الاختصاصي بالمظان الارمنية وبروسه ( Brosset ) الاختصاصي بالمصادر الجيورجية .

(*) A. A. Vasiliev : *Byzance et les arabes*. Tome I, *La dynastie d'Amorium* ( 820-867 ), édition française préparée par Henri Grégoire et Marius Canard. In-8°, XV+451 pp., Bruxelles, 1935. — Tome II, *La dynastie macédonienne* ( 867-959 ). édition française, 1re partie, sous presse; 2e partie, *Extraits des sources arabes*, traduits par Marius Canard. In 8°, X+440 pp., 1950. — Tome III, *Die Ostgrenze des byzantinischen Reiches* von 363 bis 1071, par Ernst Honigmann, In - 8°, 269 pp., et 4 cartes.

وكذلك حوالي نهاية القرن التاسع عشر قبض العالم الفرنسي غوستاف شلومبرجه ( Gustave Schlumberger ) المشهور باختصاصه بالتاريخ البيزنطي من ترجمات المصادر الشرقية ليضع مؤلفاته الاربعة الرائعة التي عنوانها امبراطور بيزنطي في القرن العاشر : نقفور فوكاس ( Un empereur byzantin au X^e siècle: Nicéphore Phocas ) والملحمة البيزنطية في نهاية القرن العاشر « ثلاثة مجلدات »

ثم هناك مؤلفات جيبون ( Gibbon ) وفينلي ( Finlay ) وبري ( Bury ) بالانكليزية وكرومباخر ( Krumbacher ) وغلزر ( Gelzer ) بالالمانية وفازلياف ( Vasiliev ) واوسبنسكي ( Ouspenskij ) بالروسية وكلها مؤلفات اصيلة ذلك ما عدا المؤلفات العامة التي لا يحصى عددها التي صدرت من خمسين سنة ولاسيما بعد الحرب العالمية الاولى .

ويستحق من بين جميع هذه المؤلفات مؤلف العالم الروسي فازلياف انتباهاً خاصاً . ومما اتاح لنا الفرصة لنشير اليه بمقالنا هذا لقراء مجلتنا هو اعادة طبعه مترجماً الى اللغة الفرنسية .

ان الكسندر الكسندروفيتش فازيلياف Alexandre Alexandrovitch ( Vasiliev ) الذي كان سابقاً استاذاً في جامعة سان پترسبورج (Saint Petersbourg ) وهو الآن استاذ في جامعة مادیسن وسكنسن ( Madison-Wisconsin ) من اعمال الولايات المتحدة الاميركية قد نشر كتابه منذ زهاء خمسين سنة بالروسية « بعنوان عام » بيزنطية والعرب ( Byzance et les Arabes ) في جزءين . فعالج في الجزء الاول الصادر سنة ١٩٠٠ دراسة عهد الاسرة العمورية ( La dynastie Amorienne ) ( ٨٢٠ — ٨٦٧ ) وفي الثاني المطبوع سنة ١٩٠٢ عهد الاسرة المقدونية ( La dynastie Macédonienne ) وذلك في اثناء القرن الاول من حكمها فقط اي من ٨٦٧—٩٥٩

على ان اباطرة الاسرة المقدونية استمروا على عرش بيزنطية اكثر من قرن آخر وكان لهم من المآتي السياسية والعسكرية ما يبعث على الاعجاب كرومان ليكابان ( Romain Lécapène ) وجان تزيميسكاس ( Jean Tzimiskès ) وباسيل

الثاني ( Basile II ) بينما كانت الخلافة العربية قد اخذت تفقد تماسكها فانقسمت الى امارات ينافس بعضها الآخر وصارت بغداد العاصمة نفسها العوبة بين ايدي المرتزقة الاتراك القادمين من الصحارى الاسيوية . فالحقبة التي درسها فازيلياف في جزءيه وهي تمتد من سنة ٨٢٠ الى ٩٥٩ كانت زمن مساجلات عسكرية يتعاقب فيها العز والذل على كل من الامبراطوريتين بالتناوب .

في ذلك العهد افتتح العرب كريت زعقلية واقوس وسالونيك حتى ان اسطولهم استطاع الاقتراب من القسطنطينية كما ان جيوشهم بلغتها بعد قليل عن طريق البر .

وما عسانا نقول عن موقعة عمورية الشهيرة القائمة في قلب الديار البيزنطية والتي رأى فيها النور امبراطور بيزنطية في ذلك العهد . اراد الخليفة المعتصم ان ينتقم للهزيمة التي مني بها سنة ٨٣٨ . فاعدّ في السنة التي تلتها حملة على عمورية التي كانوا يصفونها بانها امنع حصون الروم واعزها . فالاستعدادات وحصار العرب للمدينة وسقوطها نهائياً في ايديهم بسبب الخيانة ثم ما تلا ذلك من الاهوال كل هذا يؤلف فاجعة حقيقية استطاع ان يضمها السيد فازيلياف امام اعين القراء في صورة مركزة مستندًا الى وثائق عديدة استنفدت ثلثي صفحاته حواشيَ .

لكن الجيوش البيزنطية لم تعدم من جهتها القيام بردّات افعال ظفرت فيها فاستردّت جميع الاراضي التي خسرتها وزحفت حتى قيليقية وانزها ( اورفه ) ونصيبين ، ومن ثم الى انطاكية والى ابعد منها جنوباً وشرقاً فكان ذلك العهد بدء ما يسمونه الصليبية البيزنطية الاسرة المقدونية . فتصدى السيد فازيلياف الى سرد الانتصارات البيزنطية بما لا يقلّ دقة وحيوية عن ذكره لانتصار العرب .

ولمؤلف السيد ڤازيلياف الذي اشرف على اعداده الاستاذان الروسيان الكبيران ڤازيل ڤازيليفسكي ( Vasil Vasilievskij ) الاختصاصي بالدروس البيزنطية والبارون روزن ( Baron Rosen ) المستشرق باللغة العربية ميزة رآها رجال الاختصاص في ذلك الحين امرًا طريفاً وهي انه قد دوّن في نهاية كل

جزء مقتطفات مطولة من النصوص العربية التي عوّل عليها في وضع رواياته مترجمةً الى اللغة الروسية بحيث انه كان يوسع المطالع بان يتحقق بنفسه ما تفيد المصادر اليونانية من المصادر العربية من تأييد او توضيح لا بل من تصحيح .

*

وعلى ما لمؤلف السيد ڤازيلياڤ من محاسن فلم يستفد منه الّا عدد قليل من المؤرخين في ذلك العهد حتى ايامنا لعدم انتشار اللغة الروسية وناهيك عن هذا فان الكتاب اصبح مفقودًا . ومن جهة اخرى لقد تحسنت بعد نشره سنتي ١٩٠٠ و ١٩٠٢ دراسة المظان العربية واكتشفت مخطوطات جديدة وزد على على ذلك لقد اصبح مستطاعاً ايضاح بعض المناحي النفسية او التاريخية عن طريق دراسة المنظومات الشعرية العربية وبخاصة شعر الملاحم الذي عرف حديثاً وعمقت دراسته مجددًا .

فما كانت هذه الاعتبارات لتغرب عن نظر السيد هنري غريغوار ( Henri Grégoire ) الثاقب وهو العامل الاقوى في بلجيكا على احياء الدراسات البيزنطية والمشرقية فعقد النية على ترجمة مؤلف ڤازيلياڤ الى الفرنسية واستكماله بمعاونة بعض الاكفاء. وهم المرحوم نللينو ( C. Nallino ) والسيد ارنست هونيغمان ( Ernst Honigmann ) وبالاخص السيد ماريوس كانار ( Marius Canard ) .

كان صدر الجزء الاول المختص باسرة عمورية ( ٨٢٠—٨٦٧ ) منذ سنة ١٩٣٥ وهو يقع بـ ١٥ + ٤٥١ صفحة ، وقد اجمع الرأي في الحكم على اخراجه وعلى ما عُلّق عليه من هوامش مستفيضة وما الحق به من ذيول وملحوظات كثيرة انه مستوف الغاية وكانت نتيجة الدراسات المستحدثة في الـ ٤٧ سنة ، ان زيد على الـ ٢٤٣ صفحة المخصصة لبسط الاحداث السياسية وللملحوظات المدوّنة على الهوامش ١٨٢ صفحة اخرى تنقل الينا مقتطفات من المؤرخين العرب وبعض الملحوظات الاكمالية يعود الفضل في جمعها الى عدد من رجال الاختصاص والى السيد كانار خاصة .

افليس الاولى ان يقال والحالة هذه ان مؤلفاً مجددًا قد وضع في متناول الطبقة العالمة ؟

لذا كنا نتشوق الى صدور الجزء الثاني مجددًا على غرار الجزء الاول . وهو مخصص بالنصف الاول من الاسرة المقدونية الممتدة من عهد الامبراطور باسيل الاول حتى عهد قسطنطين بورفيرجنت ( Constantin Porphyrogénète ) ( ٨٦٧ — ٩٥٩ ) .

وقد كان هذا الجزء الذي طال بنا انتظاره جاهزًا منذ سنة ١٩٣٩ على انه لم يصدر الّا في سنة ١٩٥٠ وذلك جزئيًا لان الجزء الذي في متناول الطبقة العاملة ليس الّا القسم الثاني من الجزء الثاني اي القسم المشتمل على مقتطفات الكتبة العرب ، ولقد ازداد هذا القسم وهو الذي يحوي المراجع الى اكثر من ضعفين بالنسبة الى الطبعة الروسية فغدا يؤلف كتابًا من ٤٥٠ صفحة والطبعة الحالية ، فضلًا عن انها تطيل بعض مقتطفات ڤازيلياث التي نقلها عن مؤرخي العرب ، فانها تضيف عليها مقتطفات لخمسة عشر مؤرخًا جديدًا وثمانية شعراء وستة جغرافيين .

ومما يزيد من اهمية هذه الوثائق هو انها مسبوقة بترجمة لحياة الكتبة وبملاحظات كتبية على مؤلفاتهم هي في غاية الملاءمة لما قد تم من مختلف الابحاث والدراسات من اقدمها الى احدثها .

وتؤلف هذه الملحوظات وحدها شبه موجز لآداب التاريخ والجغرافية عند العرب وحسبنا على دليلًا ذلك تعدادها .

فالطبعة الجديدة تحوي في ذيول الجزءين اسماء ٦٠ اديبًا عربيًا من مؤرخين وجغرافيين وشعراء قد خُصّ خمسة عشر من بينهم بترجمة لحياتهم وافادات عن مؤلفاتهم .

وها هي ذي اللائحة الممتدة من كلا الجزءين مرتبة بحسب السياق التاريخي في قسمين : المؤرخون اولًا وهم الكثرة الكبرى مع الجغرافيين ، وثم الشعراء مع اسماء ثلاثة مؤلفين أُخر .

ولقد اعتمدت في سبيل ترتيب اسمائهم تاريخ وفاتهم الحقيقي او المرجح لان تاريخ الولادة مجهول لمعظمهم .

# ثبت اسماء المؤرخين والجغرافيين والشعراء

## ١ – المؤرخون والجغرافيون

| | | |
|---|---|---|
| ١ – ابن قتيبة | المتوفى سنة | ٨٨٥–٨٨٦ او ٨٨٩ |
| ٢ – البلاذري | » | ٨٩٢–٣ |
| ٣ – ابن طيفور | » | ٨٩٣ |
| ٤ – اليعقوبي | » | في نهاية القرن التاسع |
| ٥ – الطبري | » | ٩٣٢ |
| ٦ – سعيد بن بطريق | » | ٩٠٦ |
| ٧ – الصولي | » | ٩٤٧ |
| ٨ – المسعودي | » | ٩٥٦–٧ |
| ٩ – الكندي | » | ٩٦١ |
| ١٠ – حمزه الاصفهاني | » | ٩٧٠ |
| ١١ – ابن روسته | » | الثلث الاول من القرن العاشر |
| ١٢ – عريب | » | في النصف الثاني من القرن العاشر |
| ١٣ – رياض النفوس | » | في النصف الثاني من القرن العاشر |
| ١٤ – ابن حوقل | » | الثلث الاخير من القرن ١٠ |
| ١٥ – المقدسي | » | نهاية القرن العاشر |
| ١٦ – اسحق بن الحسين | » | القرن العاشر |
| ١٧ – المؤلف المجهول لتاريخ «كبردجه» | » | مطلع القرن الحادي عشر |
| ١٨ – ابن مسكويه | » | ١٠٣٠ |
| ١٩ – البيروني | » | ١٠٤٨ |
| ٢٠ – الياس برسيناية | » | ١٠٥٦ |
| ٢١ – يحيى بن سعيد | حوالي | ١٠٦٦ |
| ٢٢ – الخطيب البغدادي | المتوفى سنة | ١٠٧١ |
| ٢٣ – ابن الهمذاني | » | ١١٢٧ |
| ٢٤ – ابن الازرق | بعد | ١١٧٦ |
| ٢٥ – ابن ظافر | المتوفى سنة | ١٢٢٦ |
| ٢٦ – ابن الاثير | » | ١٢٣٣/٤ |
| ٢٧ – سبط بن الجوزية | » | ١٢٥٧ |
| ٢٨ – كمال الدين | » | ١٢٦١ |
| ٢٩ – ابن ابي اصيبعه | » | ١٢٧٠ |
| ٣٠ – المكين | » | ١٢٧٣ |
| ٣١ – ابن سعيد | » | ١٢٧٤ او ١٢٨٦ |
| ٣٢ – ابن شداد | » | ١٢٨٥ |
| ٣٣ – المؤلف المجهول لكتاب العيون (ط. de Goeje) | » | القرن الثالث عشر |
| ٣٤ – ابن العذاري | » | نهاية القرن الثالث عشر |
| ٣٥ – بيبرس منصوري | » | ١٣٢٥ |
| ٣٦ – ابو الفداء | » | ١٣٣١ |
| ٣٧ – نويري | » | ١٣٣٢ |
| ٣٨ – برزلي | » | ١٣٣٩ |
| ٣٩ – ذهبي | » | ١٣٤٨ |
| ٤٠ – يافعي | » | ١٣٦٧ |
| ٤١ – ابن كثير | » | ١٣٧٣ |
| ٤٢ – ابن الخطيب | » | ١٣٧٤ |
| ٤٣ – ابن خلدون | » | ١٤٠٦ |
| ٤٤ – المقريزي | » | ١٤٤٢ |
| ٤٥ – العيني | » | ١٤٥١ |
| ٤٦ – ابو المحاسن | » | ١٤٦٩ |
| ٤٧ – السيوطي | » | ١٥٠٥ |
| ٤٨ – المقري | » | ١٦٣٢ |

ب – الشعراء والمؤلفون المنفردون

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٤٩ – ابو تمام | المتوفى سنة | ٨٤٦ | |
| ٥٠ – البحتري | » | ٨٩٧ | |
| ٥١ – ابن المعتز | » | ٩٠٨ | |
| ٥٢ – المتنبي | » | ٩٥٥ | |
| ٥٣ – ابو فراس | » | ٩٦٨ | |
| ٥٤ – ابن هانئ | » | ٩٧٣ | |
| ٥٥و٥٦ السري والناشي شاعران | | | |

في بلاط سيف الدولة

| | | |
|---|---|---|
| ٥٧ – ابن نباتة | المتوفى سنة | ٩٨٥ |
| ٥٨ – التنوخي | » | ٩٩٤ |
| ٥٩ – ابن النبيه | » | مطلع القرن الحادي عشر |

– وبعض الحالات الاخرى

* * *

ولقد ضبطت مقتطفات هؤلاء الكتبة العرب الستين وفق طبعات حديثة او وفق مخطوطات ما عدا الذين لم يكن بالمستطاع ايجاد نصوصهم الاصلية التي استخدمها قازيلياف حوالي سنة ١٩٠٠ – وهم قليلون – وهولاء الآخرون وحدهم قد تُرجمت مقتطفاتهم عن الترجمة الروسية الى الافرنسية اما البقية جميعهم فضبطت نصوصهم وفق الترجمات الموجودة وغالباً تُرجمت من جديد .

وفي سبيل القيام بعمل لغوي على هذه الشاكلة كان لا بدّ من مؤرخ مطّلع على الاحداث البيزنطية وقابض على ناصية اللغة الروسية ومتضلّع في الوقت نفسه من اللغة العربية ومن آدابها وكانت هذه الشروط مجتمعة في السيد ماريوس كانار ( Marius Canard ) الاستاذ في معهد الاداب بجامعة الجزائر الذي سبق له ان ساهم في اعداد الجزء الاول .

وفي الواقع ان الجزء الجديد برمّته هو من صنعه وجدير بكل تقريظ .

ويشوقنا ان لا يتأخر القسم الاول من الجزء نفسه – وفيه الاستخلاص الجامع لكل الكتاب – عن ان يكون في متناول العلماء كما وعد بذلك السيد هنري غريغوار ( Henri Grégoire ) في توطئته منذئذٍ ليكون بين ايدي الاختصاصيين بالشؤون البيزنطية ومستشرقي اللغة العربية خير ذخيرة قيّمة يرجعون اليها . لاسيما ان السيد غريغوار قد كان موفقاً حين ضم الى نسخة قازيلياف الفرنسية جزءاً ثالثاً صدر منذ ١٩٣٥ بقلم الاختصاصي ارنست هونيغمان ( Ernst Honigmann, Die Ostgrenze des byzantinischen Reiches ) وهو بحث

علمي وافٍ يستند الى المصادر اليونانية والعربية والسريانية والارمنية تفحّص فيه واضعه التبدّلات الطارئة على التخوم بين الامبراطوريتين البيزنطية والعربية في خلال مدة اطول جدًا من المدة التي نظر اليها العالم الروسي اي حتى افول سلطان كل الاسرة المقدونية .

ملحوظة — نشر السيد كامار مقالًا قيّمًا عنوانه « الجمدانيون والارمينية » (*Les Hamdanites et l'Arménie*) في حوليات « معهد الدروس الشرقية » (*Annales de l'Institut d'Études Orientales*) لمعهد الاداب في جامعة الجزائر ، ٧ : ١٩٤٨ ص ٧٧-٩٤ .

٥

F. Galtier, S. J. — *LE MARIAGE : Discipline Orientale et Discipline Occidentale.* La Réforme du 2 mai 1949. Beyrouth : Université Saint-Joseph, 1950, XXIV+450 pp.

ان قداسة الحبر الاعظم البابا بيوس الثاني عشر ، بناء على التماس قدمه الرؤساء الشرقيون ، اذاع قانون الزواج الشرقي الجديد الذي اصبح نافذًا منذ الثاني من ايار سنة ١٩٤٩ . وقد توخى فيه ، بعد استشارة الرؤساء المذكورين ، توحيد القانونين الغربي والشرقي على قدر الامكان وذلك فيما يتعلق خاصة بموانع الزواج تجنبًا لكثير من المشاكل التي تثيرها الزواجات المنعقدة في مختلف انحاء العالم بين ابناء الطائفة الواحدة او بين ابناء مختلف الطوائف الكاثوليكية الذين ينتقلون اليوم بكل سهولة من اقصى الارض الى اقصاها . وجاء القانون الجديد يلغي الفروق الهامة التي كانت قائمة بين الطوائف الشرقية نفسها ويحمل كثيرًا من الاحكام التي يتضمنها القانون الغربي في نفس الموضوع .

ولكن القانون مهما كان كاملًا لا يقضي على الصعوبات باجمعها ولا ينفي المشاكل كلها بل ربما زادها تعقيدًا ولذلك لا بد من علماء يشرحون القانون ويمهدون السبيل الى فهمه . وعليه قام الاب غالتيه المعروف بمحبته للشرق وللشرقيين ويواسع العلم في كلا القانونين الغربي والشرقي فاتحفنا بكتاب ثمين باللغة الفرنسية هو مفتاح لكل ما أغلق علينا فهمه يعطينا الجواب الوافي الشافي

على اهم المعضلات واكثرها تعقيدًا لان الطريقة التي سار عليها المؤلف هي الطريقة عينها التي رسمها القانوني العظيم البابا بنديكتوس الرابع عشر القائل : « ان افضل الطرق لشرح القانون يقوم بان نفسره بذاته ونعيده الى وضعه الاصلي ونبين تطوره مع العصور في المجامع واحكام الاحبار الرومانيين وبان نجلو ما لحقه من تفسيرات متتابعة في النص على مر الازمان » .

وغني عن البيان ان كتاباً كهذا اصبح المرجع الوحيد لكل الطوائف الكاثوليكية من شرقية وغربية يمكن ان يستفيد منه الطلاب والمحامون والمرّفون وكهنة الرعايا واعضاء الدواوين وغيرهم لان كلًا منهم يجد ما يوافقهُ من حيث الطريقة العلمية والحلول العملية للمشاكل المتعلقة بوظيفته .

الخوري باخوس الفغالي

◆

F. GALTIER, S. J. — *Code Oriental de Procédure Ecclésiastique.* Lettre - Préface de S. E. Mgr. Joseph BELTRAMI, nonce apostolique au Liban. — Beyrouth : Université St-Joseph, 1951, XXIV+581. pp.

ومر اقل من سنة على نشر قانون الزواج المذكور فبادر صاحب القداسة المشار اليه الى نشر قانون اصول المحاكمات الشرقية بناء على طلب الرؤساء نفسهم المتعطشين من زمن بعيد الى قانون موحد يلغي المراسيم القديمة الصعبة التطبيق والعديمة الفائدة نظرًا لتطور الاحوال . الا ان هذا النشر وحده لم يفِ بالغاية المقصودة لان الكثيرين من ابناء الطوائف الشرقية في بلادنا يجهلون اللغة اللاتينية وهم فضلًا عن ذلك بحاجة الى شروح وافية وعملية لهذه القوانين ، التي هي عصارة القوانين الرومانية البيزنطية والعصرية ، تسهل استعمالها وتطبيقها في الدواوين الكنسية . وكان السفير البابوي المثلث الرحمات سيادة السيد مارينا قد لمس لمس اليد فائدة كتاب الاب غالتيه في الزواج فطلب اليه كتاباً آخر في اصول المحاكمات . ولبى الاب الغيور الطلب بجهود تذكر فتشكر واتحفنا بكتاب جديد كنا باشد الحاجة اليه . ولم يجد المؤلف عن الطريقة التي اختطها في كتابه السابق الذكر فاظهر بعد مقابلة دقيقة الفروق القائمة بين قانون

الكنيسة الغربية وقانون الكنيسة الشرقية في هذا الموضوع مبيناً كيف استفاد مشترع القانون الشرقي مما صدر من قرارات وارشادات لشرح القانون الغربي ومن اجتهادات المحاكم الرومانية . ولا بد لكل من يريد ان يدرك مدى التشريع الجديد وكنهه ويتفهمه بمعناه الصحيح من ان يعمد الى مؤلف الاب غالتيه الذي تحاشى التطويلات المملة دون ما تقصير في الشرح على الطريقة العلمية التي لا ينقصها شيء من الوضوح والسهولة والدقة . وانك لتجد فيه عند الاقتضاء امثالاً عديدة اكتسبها بخبرته وطويل تعليمه في جامعة القديس يوسف.

انا نثني على جهود الاب غالتيه ونشكر له هاتين التحفتين الثاليتين ونتمنى له بعد الذهب هذه الخدمة التي اداها لابناء شرقنا العزيز وندعو الجميع الى اقتنا، هذين الكتابين النفيسين.

الخوري باخوس الفغالي